الفصل السادس:

الشاعر الرومانسى

التيار الرومانسى

كان المذهب الرومانسى أدب تحرر وثورة وانطلاق.. أدب انفعال ونشوة وتحرر من سلطان العقل وتعقيداته المنطقية المقننة إلى حرية الوجدان والقلب بنشوته وحرارة انفعالاته. فالرومانسية انطلاق من زوايا القصور الارستقراطية ومن شوارع المدينة وأزقتها إلى صدر الطبيعة الرحب بكل جمالها وسحرها هى ثورة على العرف المألوف فى الأساليب والموضوعات الكلاسيكية إلى آفاق رحبة لا تحدها حدود.

وقد نادت الرومانسية بأن الشعر تعبير عن الذات الشاعرة وبخاصة عن آلام الشاعر وشكواه من قيود الحياة الاجتماعية ولهفته إلى الانطلاق والتحليق.

وقد انتشرت الرومانسية فى مصر بعد الحرب العالمية الأولى وسط ظروف اجتماعية وثقافية وسياسية قاسية.

وقد غلب هذا التيار العاطفى على جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى الهارب من واقع الحياة والمحلق فى عالم الخيال.

والأديب الرومانسى عاطفى المزاج، سريع التأثر، معتد بذاته وحريته الفردية وهو متطلع إلى المستقبل دائماً يريد أن يسبق الزمن وأن يهرب من الواقع إلى مستقبل أفضل، فيجنح إلى الخيال فى أسلوبه وموضوعاته وفنه.

وتعتبر جماعة أبوللو من أظهر الأمثلة لهذا التيار العاطفى الغنائى.

ومن أبرز أمثلة التيار الرومانسى الغنائى فى مصر:

(أحمد رامى - على محمود طه - إبراهيم ناجى - أحمد فتحى - صالح جودت - أحمد عبدالمجيد - محمد عبدالمعطى الهمشرى)

الشاعر الرومانسى

ينتمى شاعرنا إلى المدرسة الرومانسية التى يحلو لعشاقها التغنى الحزين الذى يدغدغ حواس المستمع، ويحمله إلى دنيا من شجن لطيف ولحن أليف، دون أن يبتعث فيه أسى أو يدفع به إلى الاشفاق على الشاعر الأسوان.

أى أن الشاعر الرومانسى يستعذب الشجن، ويحلق فى جو المعاناة، ويتغنى بالألم فى كبرياء وعزة، وفى رقة وعذوبة، وكأنما هو يحكى قصة طائر جريح يداوى بنفسه جراحه، ويشدو لروحه بما يروّح عن نفسه..

فإن أطرب من حوله فذلك ما لم يسع إليه، وان أشقى نفسه فذلك هو غايته ومبتغاه، حتى تنصهر روحه بالألم لتصدر عنها أعذب الألحان.

وإذا كان جل ديوان «همسات» من الشعر الرومانسى. إلا أن من أرق ما نستشهد به على ما أوردنا قول الشاعر:[1]

وأجمل مرّ فى الحياة رغيبة ... تعزّ منالا لا تذل مع البذل

وانى لأستبقى هواك لأننى ... رأيت نصيب الصدّ أدنى من الوصل

وكذلك يقول:

ياما أحيلى اللحظ فى بسماته ... وأحبب منه اللحظ فى الهمسات

جودى علىّ ببسمة نشوانة ... أو همسة خداعة النغمات

(١) همسات/ ص١٦٠

ويقول فى قصيدة «موكب الذكرى»:[1]

يا حبيبى أننى حطمت راحى ... أنت من دنياى أفراحى وراحى

مادرى غيرى بشجوى أونواحى ... عزّنى الآسى فأخفيت جراحى

وفى قصيدة «بداية» يقول ما مفاده إن ما جمعه على من أحبها، إنما هو الأسى المشترك:

ألقاك باسمة وقلبك باكى ... وأنا الذى أبكاه ما أبكاك

وأنا الذى عانى الهوى وخبرته ... فتحدّثت لى بالأسى عيناك

وعندما يؤذنه النوى بوشك افتراق وارتحال عمن يحب، نرى الشاعر وقد هزّه هذا الموقف الأليم على المحبين، يحشد كل ما لديه من لهفة واشتياق، استعداداً لبعد قد يطول أمده، وكأنما يجمع الزاد لغده ويرجو المعاد إلى ما كان فيه من هناء المحبة، إن كتب الله للشتيتين اللقاء:

يقول فى ذلك:

عندما حان النوى ... أشتد عناقى

وسرت فى الجو ... أنفاس اشتياقى

وبدت سهمة حزن ... فى المآقى

أيها الساقى مضى ... عهد التلاقى

وانطوى ليلى وهذا ... الشوق باقى

يا لروحى فى غد ... مما تلاقى

وفى طبيعة أحمد عبدالمجيد خصائص الرومانسيين، فهو مرهف الاحساس رقيق المشاعر، سريع التأثر، وهو نزاع إلى الحرية، محب للطبيعة، يستوحيها إلهامه ويصف

(١) همسات/ ص١٦٠

من خلالها مشاعره، وهو أيضاً خيالى فى أساليبه وتصوراته وأحلامه، وفى أحاديثه التى لا يسطرها على الورق.

وأظهر خصائص شعره وأبين موضوعاته: الحب والطبيعة والعاطفة والخيال والحوار.

شاعر الحب العذرى

والحب الرومانسى لا ينشد اللذة الحسية أو المتعة الجسدية، فهو يقنع بعبادة روائع الحسن وبدائع الجمال.

والحب العذرى حبّ خالص من شوائب الدنس والشاعر العذرى يتعالى إلى الأفكار السامية والمقاصد الرفيعة النبيلة.

ويرى الدكتور زكى مبارك أن الحب العذرى معركة عنيفة تقع فى ميدانين مختلفين - يقول زكى مبارك:[1]

«الحب العذرى لا يقوم على الزهد المطلق فى المتعة الحسية، وإنما يقوم على أساس الصراع بين روحين يغالبان مطامع الأفئدة، ومطالب الحواس..

الحب العذرى هو معركة عنيفة تقع فى ميدانين:

الأول: ميدان الصرع بين الشاعر وهواه،

الثانى: ميدان القتال بين الشاعر ومن يهواه، وهو فى الميدان الثانى لا يطارد فريسة تنال بأيسر الجهد، وإنما يطارد ظبية عصماء لا تنال إلا باقتحام الأهوال فوق قمم الجبال. والحب العذرى حين نتصوره هذا التصور لا يكون إلا رياضة أخلاقية».

ولقد صور أحمد عبدالمجيد عاطفة الحب تصويراً شعرياً جميلاً محص فيه تلك العاطفة النبيلة وشرّحها تشريحاً وجدانياً رائعاً موفقاً. ومجموع ما سجله من خفقات

(١) زكى مبارك/ العشاق الثلاثة/ ١٩٤٤/ ص٢٤

قلبه وهمسات روحه يلقى الأضواء على نفسية هذا العاشق العذرى الذى يحلق فى الأجواء العالية.

ولقد أحب شاعر الحب والجمال فى كل أطواره حباً عفيفاً سامياً وكان يلتمس فى هذا الحب ينبوع الشعر وصفاء الروح وسجل نتاج تجاربه فى شعره الذى قبسه من إلهام حبه ووحى عذابه وبلائه فى العشق!

ويؤمن شاعرنا بالحب العذرى إيماناً قوياً راسخاً ويعتقد بأن الجنس إذا ما دخل الحب كان ذلك نهاية لتلك العاطفة النبيلة السامية. كما يرى أن الحب عطاء لا أخذ.

يقول عن تلك العاطفة:(١)

«الحب هبة من الله لا يمنحها إلا لقلة من البشر.. الحب هو فى يقينى عطاء لا أخذ ورجاء فيما لا يطمع فيه الجنس. فإن الرغبة إذا تمت وتحققت انتهى الحب وذوت نشوته».

وشاعرنا العاشق يصنع لمحبوبته تمثالاً خيالياً يتمثل فيه كل معانى الجمال والرقة والطهر ويجعله محراباً له. على أنه إذا لمس إعراضاً من هواه أو تحولا وشكا فى تلك الملهمة التى اختصها بعفة غرامه، فإنه يقسو على ذلك التمثال الذى يكون قد أنشأه وأقام له محراباً فى قلبه يرتل فيه ما يكون قد ألهمه به من مفاتن اللفظ ورائق المعنى، ثم يمضى فى عتاب مع هذا التمثال، فيقول فى خطابه لصاحبة التمثال:(٢)

ما أنت إلا خلق عينى ... وظلال حسنك صنع ظنى
وجمال روحك من صنيع ... توهمى وخيال فنى
ولبان غصنك صورة ... أنشأت فتنتها بعينى
ورنين صوتك ما جرى ... فى مسمعى إلا بأذنى

(١) قال لى الأستاذ أحمد عبدالمجيد هذا التعريف فى ١٩/ ١/ ١٩٧٠م
(٢) همسات/ ص٩٣

وقـــعـــتـــه وشـــدوتـــه نـــغـــمـا أحـــبّـــبـــه لأذنـــى

وشاعر الحب العذرى يرى فى قربه من محبوبته نعيماً وهناء وإشراقا ويبسم أمامه كل شىء فى الوجود..

يصور أحمد عبدالمجيد عواطفه الحارة ازاء تلك اللحظات المشرقة فيقول:[1]

أنـا يا حبيبى فى النعيم إذا لـقـيـت هـــواك زاهـــر
أنـا فى النعيم إذا لقيت بجانبى مـاضـيـك حـاضر
فـــترى بـعـين الـــود قلبى فى الهـــوى بـالـــود زاخـــر
وأرى بعين هـواى حسنك بـالهـوى والـــوجـــد آمـــر
وأرى جمال الكون يا دنياى فـــيـــمـا هـــــان آسر
يـا ليت ذاك الأمـس طال ولا رأيـــت لـــه أواخـــر

وهكذا، فشاعرنا محب عاشق ينظر للحب كمعنى مقدس سام، ويظل سادنا ينشد له أجمل ألحانه وأرقها ويعيش فى دنيا من الحب العذرى تتسم بالجمال والطهر والقداسة والسمو الروحى النبيل.

وهذا هو شأن الشعراء الصادقين دائماً، والعذريين بوجه خاص..

(١) همسات/ ص٩٣

الحوار فى شعره

فن الحوار الشعرى

إن الحوار فى الشعر العربى موضوع يستأهل دراسة خاصة.. وإذا كان قد ورد فى شعر المتقدمين فى مناسبات محدودة معدودة إلا أنه فى الشعر العربى المعاصر وفى شعر بعض شعرائنا الغزليين وفى شعر شاعرنا الذى نترجم له، ظاهرة جديرة بالتسجيل.

ويتجلى فن الحوار الشعرى بأجمل صورة واعذبها عند التيار الرومانسى الغنائى فى مصر.

ومن الشعراء الذين أجادوا هذا الفن الشعرى الفريد والعذب: على محمود طه، وإبراهيم ناجى، وأحمد فتحى، وصالح جودت فضلاً عن اكتمال هذا الفن ونضجه عند أحمد عبدالمجيد.

نجد فن الحوار الشعرى عند شاعر الجندول على محمود طه بصورة فنية رائعة فى مثل هذه القصيدة:[1]

تسائلنى: وهل أحببت مثلى؟ ... وكم معشوقة لك أو خليله؟
فقلت لها وقد همت بكأسى ... إلى شفتّى راحتها النحيله
نسيت، وما أرى أحببت يوما ... كحبّك، لا، ولم أعرف مثيله
فقلت لى: جوابك لم يدع لى ... إلى اظهار ما تخفيه حيله
وفى عينيك أسرار حيارى ... تكذب ما تحاول أن تقوله

(١) على محمود طه/ الشوق العائد/ سؤال وجواب

فقلت: أجل، عرفت هوى الغوانى ... لكلّ غاية، ولها وسيله
خبرت غرامهنّ قلى ووصلا ... كثير الوعد لم يدرك قليله
قلوب قاسيات قنّعتها ... وجوه شاعريات نبيله

ثم يقول:

فقالت: كيف تضعف؟ قلت: ويحى ... وكيف أطاع «شمشون» «دليله»؟
فقالت: ما حياتك؟ قلت: حلم ... من الأشواق أوثر أن أطيله
حياتى قصة بدأت بكأس لها ... غنيت، وامرأة جميله!!

وقد أجاد إبراهيم ناجى فى فن الحوار الداخلى فى قصيدته الرائعة «العودة» إذ أجرى حواراً داخلياً بينه وبين قلبه فى صورة شعرية عذبة حية جعل فيها قلبه إنساناً يتكلم ويفهم وأنطق الدمع.. والماضى الجريح يقول ناجى:[1]

رفرف القلب بجنبى كالذبيح ... وأنا أهتف يا قلب اتئد
فيجيب الدمع والماضى الجريح ... لم عدنا؟ ليت أنّا لم نعد
لم عدنا أو لم نطو الغرام ... وفرغنا من حنين وألم
ورضينا بسكون وسلام ... وانتهينا لفراغ كالعدم
وعلى بابك ألقى جعبتى ... كغريب آب من وادى المحن
فيك كف الله عنى غربتى ... ورسا رحلى على أرض الوطن

ونجد هذا الفن عند شاعر الكرنك، أحمد فتحى فى مثل قوله من قصيدة «ذكريات صيف»[2]

(١) وراء الغمام/ ١٩٣٤/ العودة
(٢) الأهرام/ ٢٠ يونيه ١٩٦٠م

سعيت إلى النيل أشكو له
غرام الفؤاد وأهواله
ورن هتاف الربى: ما له؟
ترى غير العشق أحواله؟
فهل روّع الوجد آماله؟
وهل حطم الصيف تمثاله؟

وعند صالح جودت خبرة طيبة من فن الحوار الشعرى فى دواوينه الخمسة التى أصدرها..

فى ديوان «حكاية قلب» نجد مثالاً لمثل هذا الفن فى قصيدة «دين جديد» فى حوار بينه وبين فتاة:[1]

فقالت: أما تخشى عذاب جهنم؟ فقلت: دعينى فالمآب ظنون
دعينى، فإن العمر يوم وليلة وان عذابى بعده ليهون
وما الدين عند الله إلا محبة فصدك إلحاد ووصلك دين!!

****

والحوار وتر جديد فى قيثارة الشعر العربى يستحق أن يتزايد الاهتمام به..

والحوار عدة الشاعر الذى يتعرض للرواية الشعرية والدراما الشعرية.

ومن المزايا التى يجب أن تتوفر لدى شاعر الرواية الشعرية، الاحاطة الشاملة بفن الحديث وبراعة الانتقال مع استعمال السؤال والتعجب والاستدراك والدعابة والسخرية.

ويتعيّن أن يكون الشاعر الذى يتعرض لهذا الضرب من الشعر على إلمام واسع

(١) صالح جودت/ حكاية قلب/ ص١٣٢

وقدرة لا تخمد بالوزن الموسيقى لكل موقف فى الرواية الشعرية. حيث تختلف أجواء المواقف وحيث يتعين اختيار موسيقى ووزن خاص لكل موقف.

وهو علم لا يدرس، ولكنه ملكة وذوق ورهافة فى الحس لا يدركها كل شاعر ولكنها من نعم الله على بعض من اصطفاهم لهذا الفن من الشعر وهذا الضرب من ضروب النظم..

وفى أسلوب الحوار طلاوة ورقة ونعومة وذكاء لا يتمتع بها جميعاً إلا نفر قليل من الناس، تطرب لأعمالهم الأذهان والآذان، لما يجده الناس فيما يسمعون أو يقرأون فى شعرهم من احساس رهيف وعاطفة جياشة.

الحوار فى شعر أحمد عبدالمجيد

وقد أجاد شاعرنا الرومانسى الكبير استخدام فن الحوار فى شعره بصورة غاية فى العذوبة والطرافة والفن.

وأرى أن شاعرنا يتميز بوصف المواقف العاطفية، وابتكار الصور الجميلة الطريفة وإجادة فن الحوار مما يمكنه من كتابة الدراما الشعرية لأنه يجيد استخدام فن الحوار فى شعره، وله ولزملائه منبع ثرى أصيل مسرحيات شوقى الخالدة: «مجنون ليلى» و«مصرع كليوباترا» و«قمبيز» ولكن ماذا نجد من فن الحوار الشعرى عند شاعرنا؟ فى ديوان همسات ذخيرة طيبة وكبيرة من الحوار نجدها فى أكثر صفحات الديوان.

من ذلك ما جاء فى قصيدة من الشاطئ:[1]

يـا بـحـر إنـى مـن هـواك ... غـيران عـذّبـه رضـاك

تهـواك نـاعـسـة الجـفـون ... وتـشـتـهـيـك فـيـا هـنـاك

(١) همسات/ ص١٢

وتمـــدّ أســبــاب الــوصــال ... لهــا ويــغــريهــا صــفــاك
حــتــى اذا نــزلــت إلــيــك ... ضــمــمــت يــا لهــفــى مــلاك
ومــضــيــت تــلــثــم ثغرها ... حــيــنــا وتجــذبهــا يــداك
وتــضــم خــصــرًا لــيــنــا ... لا تــســتــنــيــم لمــن نهــاك
يــا طــيــب ثــغــر حسنه ... يــا بــحــر أوردنـــى الهــلاك

وانظر إلى قصيدة «ميعاد»:[1]

ضممتها وحنين الشوق يسألها ... عن موعد مقبل للظامئ الصادى
وعن لقاء على عيد يطالعنا ... بالبشر والسعد فى إشراقه الهادى
فأطرقت ثم قالت وهى هامسة ... وهمسها الحلو أغرى سمع حسّادى
ان التقينا رأينا العيد ثالثنا ... لا نرتضى عنه إلا عوده الغادى
فان أبى الدهر أو عزّ اللقاء فما ... أحرى بذى الوجد أن يصبو لميعاد
وللصبابة عندى اليوم مأثرة ... تحيل يوم اللقا تاجا لأعيادى

وفى قصيدة «كيف أنسى؟» يتجلى فن الحوار الشعري عند أحمد عبدالمجيد فى هذا العتاب الهامس يقول:[2]

قالت ستنسانى إذا طال المدى ... وتــروح غير مقيد بتوددى
وكما نسيت على الزمان كواعبا ... تنسى هواى وما الهوى بمخلّد
فاهنأ باقبال الزمان وطيبه ... واشرب على طلل العهود وعربد
قلت اسمعى عصف الهوى فى خافقى ... أو إن أردت كما عهدتك فاعتدى

(١) همسات/ ص١٧
(٢) همسات/ ص٣٥

شرف الهوى فى أن يدوم وفاؤه ... وهوى الفؤاد على الدوام مقيّدى
وهواك بين جوانحى متجدد ... قسما بحق شبابك المتجدد
لا تسأليني كيف أبقى ذاكرا ... فأنا الأمين على غرام مسعدى
لا تسأليني كيف أبقى صابرا ... فأنا الذى بضياء روحك اهتدى
أنا إن نسيت فكيف أنسى ثغرها ... أيضل ظمآن سبيل المورد
أنا إن نسيت فكيف أنسى شعرها ... من مطلقى من شعرها المتمرد
أنا إن نسيت فكيف أنسى نهدها ... ياما أجلّك فوق صدر عسجدى
أنا إن نسيت فكيف أنسى خصرها ... ما فى الغصون كخصرها المتأوّد
يا ظبية البيد اتقى شرر الهوى ... فالحب يجزى أين كان المعتدى

ومن أروع أمثلة فن الحوار الشعرى وأطرفها وأعذبها ما جاء فى قصيدة «قلت وقالت»[1]

قالت رويدك واستمع ... لأننى قلبى من جواه
قلت استمعت فلم أجد ... حباً ولا قلباً حواه
قالت عهدتك شاعراً ... والشِعر صورة من رواه
أترى لو أنى قلت شعراً ... ناب عنى ما احتواه
قلت انظمى فالشعر مكذوب ... كما اصطلح الرواه
قالت أما صدّقتنى ... لتريح قلبك من ضناه
قلت استراح ومات من ... فرط الذى صنع القساه
قالت وحقّ هواك أنت ... وحيد قلبى فى هواه

(١) همسات/ ص٦٨

قلت الوحيد مدلل ... وينال فى الدنيا مناه
قالت بحق مدامعى ... ودموع أجفانى عصاه
قلت الدموع سلاح من ... يدمى ولا تجنى يداه
قالت متى تصفو وتصدقنى ... الحديث بلا اشتباه
قلت الهوى زهر ... وهذا الشك فى حبى نداه
لكن شكّى فاض حتى ... كاد يغرقنى مداه
والظن فى دنيا الهوى ... بدء يقرّب منتهاه
جودى قليلا بالنوى ... فنواك أصدق من سواه
فلعلّنى إن غبت قلبى ... لا يلين لمن جفاه
وهواك مقسوم أكابد ... منتهاه كمبتداه

وانظر إلى قصيدة «سؤال وجواب» فى هذه القصيدة نرى الشاعر يرتفع إلى الذروة فى فن الحوار، مثل قوله:[1]

فقال وقلبك يا هلترى؟ ... أحب سواى؟ أما عربدا؟
فقلت نعم وأنا صادق ... أحبّ خيالك مسترشدا
فضلّ السبيل إليك وما ... قصدت الخيال قليل النّدى
فقال ولحظى أما يشتهى ... أليس يفوق سهام العدا؟
فقلت: رمانى وإنى محب ... ويا ليته بالعدو ابتدا
فقال: أراك خصيب الخيال! ... وكم من خيال تولّى سدى
فقلت وكيف علمت المآل ... أجاب: لأنى أنا المبتدا

(١) همسات/ ص٩٧-٩٨

فقال: وثغرى أما تشتهيه؟ فقد سئمت نفسى السجّدا!

تعال فقد حان حين القطاف وقد آن للصبر أن يحمدا

فأدنيت ثغرى من ثغره ولم أدر كيف انتهى أو بدا

وكان الوصال على طيبه كعمر الورود ورجع الصدى

ومن أطرف وثبات شاعرنا فى فن الحوار قوله:[1]

قالت شفتاى لشفتيك هيمان القلب متى يسكر؟

فأجابت يهنيك وصالى إنا اعطيناك الكوثر

(١) همسات/ ص١٤٠